عن خارجة بن زيد بن ثابت قال دخل نفر يقع على الثلاثة الى العشرة ولا واحد له من لفظه على ما في الصحاح على زيد بن ثابت فقالوا له حدثنا احاديث رسول الله وفي نسخة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا احدثكم اي اي شيء احدثكم وكانهم طلبوا احاديث شمائله صلى الله عليه وسلم المتعلقة باقواله وافعاله واحواله فلذلك اعظم الحديث بجوابه واجاد في هذا التعجب ردا لما وقع في خلدهم من طلب الاحاطة بشمائله فان شمائله لا يحاط بها كمية ولا كيفية فان الفعل كلما دون حقيقته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير واذن لا يقدح احد بمدحه صلى الله عليه وسلم كيف وقد اثنى عليه الكتاب العزيز في تعظيمه بما يبهر العقول وخرجت من بديع صفاته بما لا يستطيع البشر الوصول ولهذا قال ابن الخطيب رحمه الله

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم تفتح له اغلاق

ايروم مخلوق ثناءك بعدما ... اثنى على اخلاقك الخلاق

وقد سئل ابن الفارض في الشعر وقيل له لم لم تمدح النبي صلى الله عليه وسلم اي بالتصريح وانما مدحتهم في الحقيقة اهل المعرفة لا احد ... عليه السلام

ارى كل مدح في النبي مقصرا ... وان بالغ المثني عليه واكثرا

اذا الله اثنى بالذي هو اهله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولما استشعر اكابر الشعراء كابي تمام والبحتري وابي الطيب عجزهم عن الوفاء بمدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطوه ورأوا ان ذلك من اصعب ما يحاولونه ورحم الله القائل

تجاوز قدر المدح حتى كانه ... باحسن ما يثنى عليه يعاب

وقال ابن جزي

اروم امتداح المصطفى فيردني ... قصوري عن ادراك تلك المناقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ... ومن لي باحصاء الحصى والكواكب

ورب سكوت كان فيه بلاغة ... ورب كلام فيه عتب لعاتب

ومنه

ولما اتى ابو نواس عفا الله عنه في تركه مدح علي الرضى بن مولانا موسى الكاظم بن مولانا جعفر الصادق بن مولانا محمد الباقر بن مولانا علي زين العابدين بن مولانا الحسين بن مولانا علي رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم امين قال

قيل لي انت احسن الناس طرا ... في فنون من الكلام النبيه

لك من جيد القريض مديح ... يثمر الدر في يدي مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه

قلت لا استطيع مدح امام ... كان جبريل خادما لابيه

وهو متقدم في اول الباب شيء من هذا المعنى ولما بين لهم العجز عن الاحاطة بما طلبوا وكان من القواعد العزيزة ان ما لا يدرك كله لا يترك كله اراد ان يفيدهم بشيء ابعض من كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته وغاية تلطفه فقال مشيرا الى غاية ضبطه ونهاية حفظه واتقانه لما يرويه كنت جاره اي فانا اخبر به اتم من غيري فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الي فكتبته له اي جاء الي بعثا لكتابته صلى الله عليه وسلم ومعرفة باحواله وفي ذكر حضوره حيث جعلني امينا ممن يعتمد في امور الدين في ضبطها ومن يتحمل الشريعة وتبليغها وفي البخاري ان ابا بكر رضي الله عنه قال له انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن واجمعه وفي البخاري ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يتعلم كتابة اليهود ليقرأها عليه اذا كتبوا اليه فتعلمها في خمسة عشر يوما وروي في احاديث كثيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افرضكم زيد وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الكتب الى الملوك وغيرهم وكان يكتب لابي بكر وعمر وعثمان وكان عمر يستخلفه اذا حج قال ابن حجر وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف في خلافة ابي بكر امره ... بذلك وهذا هو الجمع الاول والجمع الثاني كان في زمن عثمان وهو الذي استقر عليه الامر وهو من علماء الصحابة ومفتيهم وقد كان استفتى عمر وعلي وابي وابن مسعود وابو موسى

Copyright © King Saud University